

نفحات القرآن

[335] اليهود ، سحين تتحدّث الآية الثالثة عن النصارى ، وبما أنّ عداء اليهود للأحكام الإلهيّة أشدّ من النصارى فقد حكم عليهم بالكفر والظلم بينما حكم على هؤلاء بالفسق . ولكنّا نعلم أنّ نزول الآيات في موارد خاصّة لا يحدّد مفاهيمها الكلّية بتلك الموارد ، وعليه فإنّ الآيات هذه تشمل جميع الذين يحكمون بغير ما أنزل الله . إنّ صدق الظلم والفسق فيمن يرتكب هذه المعصية واضح ولكن الحكم بالكفر يكون في حالة الردّ لحكم الله والإعتقاد ببطلانه ، لأنّ ذلك أمّا إعتقاد يلزمه إنكار الذات المقدّسة أو علمه وحكمته وعدله ، وهذا يستوجب الكفر قطعاً ، وهكذا إذا رجع إنكار هذا الحكم إلى إنكار القرآن أو رسالة نبي الإسلام (صلى الله عليه وآله وسلم) . ولكنّه إذا حكم بغير ما أنزل الله فقط وكان المنشأ فيه هو النفس مثلاً لا إنكار التوحيد أو النبوة فإنّه لا يستوجب الكفر . وقد ورد في الآية (48) من هذه السورة أمر هو : (فَادْعُكُمْ بِأَيْدِهِمْ بِمَا أُنْزِلَ الْهُ) وفي الآية (49) : (وَآنَ ادْعُكُمْ بِأَيْدِهِمْ بِمَا أُنْزِلَ الْهُ) وتقول الآية (50) : (أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْهُ الْهُ) . إنّ الآيات الستّ هذه تؤكّد على هذا المعنى وهو (الحكم حكم الله فقط) . إنّ هذه التعابير المختلفة وهذا التأكيد المثالي الذي ورد في هذه الآيات الستّ في سورة واحدة وبصورة متقاربة لدليل على هذه الحقيقة وهي أنّ الله لا يحقّ التشريع لأمرٍ مقام إلاّ الله ، وكلّ من يفتي أو يقضي أو يحكم على خلاف حكم الله فإنّه يقترب إثماً عظيماً وظلماً وينزع عنه ثوب الإيمان أيضاً . بهذه يثبت توحيد الحاكمية التشريعية وحصر التشريع في ذات الله المقدّسة وحصر الحكم في حكم الله . * * *